٧ - قرطاج وروما وجها لوجه:

عندما استولت قرطاج على مسينا وجدت نفسها وجها لوجه مع روما التي لم يمض وقت طويل حينئذ على استرجاع سلطتها على "ريجيون" في الضفة الأخرى من المضيق. وكانت العلاقات بين المدينتين إلى ذلك الوقت أقرب إلى الود منها إلى أي شيء آخر. فقد ضبطت معاهدات كثيرة منذ قرون حقوق كل منهما على الأخر. ويعتقد بعض (العلماء على غرار بوليبPolypeأن أقدم معاهدة ترجع إلى السنة الأولى من انتصاب) الجمهورية الرومانية)سنة ٥٠٩ (في الوقت الذي كانت الثورة تحد فيه من مدى التوسع الروماني معتمدين في ذلك على سمعة "ستيفان قزال" الكبيرة. غير أنه منذ ظهور (" دراسات Mommssen(رأى علماء آخرون أمثال ه.نيسان)H. Nissenوأ.ملتزر) "مومسن

(O. Meltzer(وأ.بايس)E. Païsوأ.بيقانيول) A. Piganiolأنه يمكن أن توجد معاهدة) قبل سنة ٣٤٨ بل يذهبون إلى أنه يجب تطبيق النص الثاني لبوليب على المعاهدة الأولى. ومهما يكن الأمر فإن الاتفاق ينص على أنه في إمكان روما أن تتاجر مع صقلية القرطاجية بكامل الحرية وحتى في ميناء قرطاج نفسه. لكنها تؤكد أنه لا يمكنها تجاوز البحار الواقعة وراء رأس سيدي المكي شمال قرطاج، ووراء "ما ستياطرسيون") قرب رأس بالوس قريبا من المكان الذي ستشيد فيه قرطاج(وأنه لا يمكن لمراكبها إذا ما هبت العواصف أن ترسي في موانى افريقية وسردانية أكثر من خمسة أيام، وإذا صدقنا المؤرخ اليوناني فيلينوس الاقرجنيتي فإن المعاهدة الثالثة)سنة ٣٠٦ (التي لم يتوصل بوليب إلى معرفة نصها تمنع على قرطاج أن تتدخل في ايطاليا كما تمنع على روما التدخل في صقلية. وتقر الاتفاقية الأخيرة) سنة ٢٧٨ (التي أبرمت أثناء حرب بيروس حقوق قرطاج في التجارة مع الغرب إلا أنها تنص بالخصوص على بنود عسكرية لا تزال غامضة.

لا شك أن روما التزمت منذ ٣٠٦ بعدم التدخل في صقلية ولكن قرطاج أقامت (الدليل منذ أن استولى بيروس على تارنتTarenteأنها لا تقيم وزنا لما التزمت به من حياد في ايطاليا. ولم تكن سوء نية روما تقل عن سوء نية قرطاج. وكانت مطامعهما في الاستيلاء على مضيق مسينا تكيف موقفهما قبل أي شيء آخر.

وعندما أطرد المامرتانيون من مسينا استنجدوا برومة إثر ضغط المجالس المئوية (Comices centuriatesعلى مجلس الشيوخ وتصويتهم لمبدإ التدخل. ولعلهم كانوا) (تحت تأثير العائلات الكبرى التي أصلها "كمباني" وسمنى فاجتاز أبيوس كلوديوسA ppius Claudius.) المضيق وأقام حاميته في مسينا)سنة ٢٦٤)

ش. جوليان تاريخ شمال إفريقيا

٨٠ ٨١

IIالحروب البونيقية: -

١ - الحروب البونيقية الأولى - ميلاي:

لم تشهر رومة الحرب لكن قد أصبح لا مفر منها بسبب سلوكها. وبدعوى أن قرطاج تعد العدة للهجوم على ايطاليا بادرت لأول مرة بشن حرب وقائية هي مظهر من مظاهر نفاق استعمارها الاقتصادي والعسكري.

ولم تكن قرطاج في الواقع ميالة للدخول في صراع مع رومة فلم ترد الفعل بشدة، وكانت واثقة من سيطرتها على البحار كما كانت رومة مطمئنة إلى تفوق جيوشها البرية. فلا هي قدرت على احتلال مسينا عنوة ولا حافظت على حلفها مع هيرون صاحب سرقوسة الذي استنجد بها عندما هاجمه ابيوس كلوديوس بغتة.

٢٦ (وباعوا ٢٥٠٠٠ عبد. وفتح الرومان صقلية فاستولوا على أقريجنتي)- ٢٦٢ ولكنهم سرعان ما تعطل زحفهم بسبب مناعة الحصون الساحلية وانتهي الهجوم البري إلى مأزق، وبات من الضروري القيام بهجوم بحري وهذا ما كان لهم الفضل في إدراكه. فهيأوا جميع الأسباب لإنجاح الخطة، ويقال: إنهم أعدوا أسطولا يحتوي على ١٠٠ سفينة خماسية و ٢٠ سفينة ثلاثية، وقد اقتبسوا صنعها من سفينة خماسية بونيقية ارتطمت بسواحلهم. ودربوا ملاحيهم على اليابسة قبل أن يبحروا، ولكنهم لم يعوزهم الحلفاء البحريون على الملاحة، وكانوا رغم ذلك في حاجة إلى قدر عظيم من الجرأة ليتجاسروا على مهاجمة أوسع الأساطيل شهرة. وقد أفادتهم هذه الجرأة فانتصر القنصل دوليليوس في مياه ميلاي) ميلازو ٢٦٠ (بفضل المراسي المتحركة

بواسطة البكرات مما أتاح للجنود اقتحام بواخر العدو، ثم حاصر أسطول رومة "ألاريا")في كورسيكا(و"ألبيا") ترانوفابرزانيا في سردينيا(ونهب رجالها سواحل جزر "ليباري")٢٥٨- وربما سواحل مالطة) ٢٥٩

٢ - ريغولوس في افريقية:

ورغم ذلك فإن نجاح السياسة البحرية لم يأت بالنتائج المرجوة، فقد فشل القناصل في محاولاتهم فتح "طرابنة")طرباني(و"بانورم")باليرمو(بمهاجمتهما عن طريق البر، وعندما انتصر الأسطول مرة ثانية في "ليباري" بادر مجلس الشيوخ بشن هجوم على الأرض الإفريقية والنزول على سواحلها وكأنه مدفوع بذكرى أغاثوكل.

فهاجمت ٣٣٠ مركبا تحمل ٤٠٠٠٠ جندي أسطول العدو فهزمته وأرست على سواحل (منت هي الوطن القبلى بقليبيةClupéaسنة ٢٣٦ .ونهب الجنود منازل الشيوخ) الريفية وسطوا على الماشية واستعبدوا ٢٠٠٠٠ من أعدائهم. ولما لاحظ مجلس الشيوخ السهولة التي انتصر بها جيوشه على قرطاج استقدم قنصلا وقسما من الجنود وحاول ريغولوس الذي بقي وحيدا في منصب القيادة على رأس ١٥٠٠٠ من رجاله، أن يتفاوض في عقد الصلح مع قرطاج حتى لا يترك لخلفه الفضل في إبرام معاهدة السلم، ولكن القرطاجيين ضاقوا ذرعا بما عرضه عليهم من شروط فأعاد "زنتيبوس" وهو ضابط أصله من سبارتا، تنظيم الجيش القرطاجي وهاجم بفرسانه النوميديين وفيلته جيوش ريغولوس فشتت شملهم وأذاقهم طعم الهزيمة وعندئذ قدمت مراكب النجدة من ايطاليا لترحيل ما تبقى من الجيش الروماني أي ألفي رجل، ولكن عاصفة شديدة هبت عليها فغرق ثمانون مركبا من بين ٤٦٠ . والمؤرخون المحبون لتاريخ رومة يمجدون بطولة ريغولوس الذي أبى في زعمهم إلا أن يعود إلى قرطاج مضحيا بنفسه رغم تضرعات زوجته وأبنائه والشيوخ. ولكن من الواجب أن نحترز وألا نثق ثقة عمياء في هذا الدرس المؤثر في الوطنية. وعادت لقرطاج سيطرتها على البحار بفضل ضعف هذا القنصل وما تكبده الأسطول الروماني من هزائم فاضطرت رومة إلى أن تحصر جهودها في صقلية.

٣ - نهاية الحرب:

لم يتمكن أحد الطرفين المتحاربين من الانتصار على الآخر انتصارا حاسما فلم تتمكن رومة من الاستيلاء على "ليلبي")مرساله(ولا على "طرابنة")طراباني(اللذين أصبحا معقل المقاومة القرطاجية، ومنيت بهزيمتين بحريتين) ٢٤٩ (اضطرت معهما إلى تحديد أسطولها بستين مركبا، كما أن القواد البونيقيين لم تكن لهم القوة الكافية لشن هجوم معاكس حاسم أو أنهم أعوزتهم الجرأة الكافية للقيام بهذا العمل. إلا أن خطة "عبد ملقرط البرقي" الماهرة أقضت مضاجع الرومان، فقد اعتصم جنوده بقمم جبل "رقطة" قرب "باليرمو")وهو جبل كستلاسيو أمام جزيرة دلافمينا من دون شك (وجبل "إيريكس") جبل جوليانو المشرف على طرابنة(وعطلوا مواصلات جيوش العدو ونقل المعدات الحربية إليه.

لقد كانت رومة وقرطاج في حاجة إلى المال في ذلك الوقت، وكانت رومة تسمي العدد الكبير من القواد بحسب المكايد السياسية. أما قرطاج فقد كانت واثقة من عبقرية عبد ملقرط البرقي وحده وطالت العمليات الحربية من غير أن تتراءى النتيجة. إلا أن استعمار الرومان العسكري كان أثبت وأطول نفسا من استعمار قرطاج التجاري فسعت رومة إلى بلوغ هدفها بواسطة البحر، وطلبت من طبقة النبلاء تجهيز ٢٠٠ سفينة خماسية

ش. جوليان تاريخ شمال إفريقيا

٨٢ ٨٣

وسهلت عليهم التموين بينما حجرته على المرتزقة والليبيين وزود "هيرون" من جهته .) قرطاج، بحيث تألب حماة النظام القائم جميعهم على الثوار) حوالي ٢٣٩

وعندما تخلصت قرطاج من جميع مشاغلها الخارجية وكسبت حتى إعانة أعدائها بالأمس أتيح لها أن تضرب ضربتها الحاسمة فطوق عبد ملقرط البرقي المرتزقة في فج (المنشار)بين الحمامات وزغوان(، وانهزم الليبيون في لمطةLeptis Minorرغم أنهم كانوا) أشد مقاومة من المرتزقة، وصلب ماتوس ثم سلمت مدينتا "أوتيكة " و" بنزرت " أمرها .) إلى الغالب)سنة ٢٣٧

٥ - الاستعمار القرطاجي في اسبانيا: عبد ملقرط عزر بعل:

خرجت قرطاج من هذه الحرب المدنية منهوكة القوى، فسعت إلى الإصلاح من حالتها المالية وسلطت عبد ملقرط البرقي على اسبانيا ومناجمها الفضية وتخلصت في نفس الوقت من المرتزقة الذين أبطرتهم الراحة وأنهكهم الضجر. وانطلق هذا القائد من "قادس" فاحتل الأندلس وخاض معارك بلغ إثرها البحر المتوسط. فشق بذلك بين البحرين طريقا تجارية ممتازة أصبحت تهدد مصالح "مرسيليا" التي كانت حينذاك سيدة "روطة" و"امبورياس" شمال "الايبرو". وكأنه أراد أن يسجل احتلاله للساحل الشرقي فأسس مدينة "أكرالانكي")أليكانت(وكانت اسبانيا في ذلك الوقت ازدهرت فيها حضارة وفن يعبران عن امتزاج عناصر يونانية وبونيقية واسبانية، ولما مات عبد ملقرط وهو يحاصر "هليكا") الش(ترك لقرطاج مناجم لا تنفد فضربت نقودا فضية كبيرة.

وواصل صهره عزر بعل سياسة آل برقة الشخصية أحدث في قلب المنطقة الغنية بالفضة مركزا بحريا وتجاريا ذا موقع ممتاز، وأسماه قرطاج الجديدة)قرطاجنة(. وتضايقت رومة من اطراد نجاحه وخشيت أن يتم التحالف بين البونيقيين والغوليين وخاصة الاستيلاء على المراكز التجارية التابعة لمرسيليا. وتوصلت إلى أن يلتزم عزر بعل، بعد أن ضغط حليفتها عليه ولا شك، بعدم تجاوز "الايبرو" في فتوحاته) حوالي ٢٢٦ .)